حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الخامس ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٦ هـ / تموز ـ ٢٠١٥ م

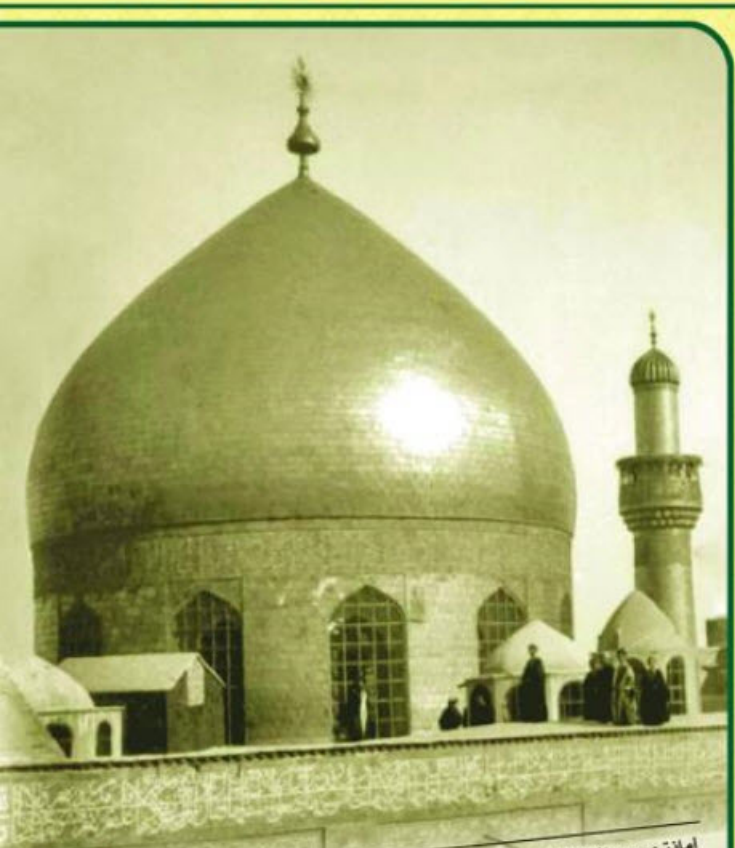

أمانة مسجد المعظم تحتفل بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكوفة عاصمة لحكومته المباركة عام ٣٦ للهجرة

٥

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

(٧)

يعقوب بن إسحاق الكندي

الأستاذ كوركيس عواد

الكندي

١- اسمه ونسبه:

يكنى بأبي يوسف، واسمه يعقوب بن إسحق، وقد اشتهر بالكندي، لأنّه كان من أبناء قبيلة «كندة» العربية، إحدى القبائل العريقة في التّاريخ[١]، وأصل كندة في بلاد اليمن، ولكن بطوناً منها نزحت عنها في مناسبات إلى أمصار أخرى، فصارت ذات فروع في العراق والشّام والأندلس.

إنّ غير واحد من المؤلفين الأقدمين، كابن النّديم «ألف كتابه حوالي سنة ٣٧٧هـ»، والقاضي صاعد الأندلسي «المتوفى سنة ٤٦٢هـ»، والقفطي «المتوفى سنة ٦٤٦هـ»، قد ساق سلسلة نسب الكندي، على اختلاف بينهم في السّياقة، وتفاوت في عدد الأجيال، فأوصلهم ابن النّديم إلى الجد التّاسع والعشرين[٢]، وأبلغهم صاعد إلى اثنين وثلاثين[٣].

وانتهى القفطي في إيرادهم إلى الجد الرّابع والثّلاثين منهم[٤].

ولقد تولى بعض أجداد الكندي الملك في حضرموت واليمامة والبحرين، ومنهم من عاش قبل الإسلام، ومنهم من نشأ بعده، وكانوا في أيّام جاهليتهم وإسلامهم من ذوي المجد واليسار.

كان لبني كندة في الإسلام، ذكر في الفتوح والثّورات، ومنهم من ولي الولايات، ومنهم من تقلد القضاء[٥].

ومن أجداد الكندي الّذين نوه بذكرهم التّاريخ، قيس بن معدى كرب: كان ملكاً على جميع كندة، عظيم الشّأن، وقد مدحه الأعشى بأربع قصائد طوال[٦].

ومنهم الأشعث بن قيس، أحد الوافدين إلى النّبي (ﷺ)[٧]، كان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة أيضاً.

ينتهي نسب الكندي في الإسلام، إلى الأشعث بن قيس، فتكون سلسلة نسبه في العصر الإسلامي، كالآتي: يعقوب بن إسحاق بن الصّباح بن عمران بن إسماعيل بن محمّد بن الأشعث بن قيس.

كان أبو إسحاق بن الصّباح، أميراً على الكوفة للمهدي والرّشيد، وذكر ابن حزم الأندلسي، أنّ إسحاق بن الصّباح، أبا الفيلسوف يعقوب الكندي، ولي بالكوفة، كان شاعراً، مرجئاً، متكلماً، وله حديث، كما ذكر أنّ ليعقوب أخاً اسمه الصّباح بن إسحاق، هلك في حياة أبيه[٨].

على أنّ فيلسوفنا الكندي، هو ولا ريب، أعظم بني كندة شهرة، وأبعدهم أثراً، وأبقاهم ذكراً.

٢- حياته:

على بعد صيت الكندي، وجلالة قدره في العلم والفلسفة، لم نقف على ما يفي بالمرام من ترجمة حياته، فهناك أمور

(١) جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي تحقيق أ. ليفي بروفنسال، طبعة دار المعارف- القاهرة ١٩٤٨، ص ٣٩٩-٤٠٠.
معجم قبائل العرب: لعمر رضا كحالة ٣ [دمشق ١٩٤٩] ص ٩٩٨- ١٠٠٠.

(٢) الفهرست: لابن النّديم «طبعة فلوجل، ليبسك ١٨٧١» ص ٢٥٥.

(٣) طبقات الأمم: للقاضي صاعد الأندلسي «طبعة شيخو، بيروت ١٩١٢» ص ٥١.

(٤) أخبار الحكماء بأخبار العلماء: للقفطي «طبعة ليرت، ليبسك ١٩٠٣» ص ٣٦٦.

(٥) فيلسوف العرب والمعلم الثّاني: لمصطفى عبد الرّزق «القاهرة ١٩٤٥، ص٩».

(٦) ديوان الأعشى «طبعة جاير، لندن ١٩٢٨»، القصائد ٢- ٥ المنشورة في ص ٢٢- ٤١.

(٧) طبقات ابن سعد «طبعة سترستين ٦ [ليدن ١٩٠٩] ص ١٣».

(٨) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٩- ٤٠٠.

كثيرة تتصل بسيرته، ما زالت تفتقر إلى أن تستجلى وتعرف معرفة يقينية: فسنة ولادته، والبلدة الّتي ولد فيها، ونشأته الأولى، وأين درس، وعلى من تلقى العلم، وسنة وفاته، وأشياء أخرى مختلفة: أمور يحيط بها إبهام ويكتنفها غموض.

ذلك أنّ المراجع العربية القديمة المنتهية إلينا، إمّا أنّها قد اختلفت في تعيين تلك الحقائق الأساسية، أو أنّها قد لزمت بشأنها جانب الصّمت، فلم تسعفنا بالوقوف على ما تجب معرفته، وغاية ما يتحصل من ذلك لا يخرج عن حدود الظّن ولا يتجاوز باب الاستنتاج.

ففي بعض الرّوايات، أنّ الكندي ولد في البصرة، ولكن الأرجح أنّه ولد في الكوفة، وقد كان أبوه عاملاً على الكوفة زهاء عشرين عاماً.

ولد الكندي في أخريات حياة أبيه الّذي توفي في زمن الخليفة العبّاسي هارون الرّشيد، ومن الثّابت أنّ وفاة الرّشيد كانت قد وقعت في سنة ١٩٣هـ «٨٠٩م» ويغلب على الظّن أنّ الكندي ولد حوالي سنة ١٨٥هـ «٨٠١م» على ما انتهى إليه تحقيق أجلة الباحثين في هذا الموضوع[١].

كان الكندي طفلاً حين توفي والده، فنشأ في الكوفة في رعاية أمّه الّتي لم تألُ جهداً في تنشئته على حب العلم والإقبال عليه، بعد أن آنست منه ذكاء متوقداً وميلاً متزايداً إلى اكتساب فنون المعرفة من مناهلها.

تلقى الكندي مبادئ العلم، في أيّام صباه، على شيوخ لقنوه القراءة والكتابة، ودرس القرآن وعلوم الدّين والكلام، وليس من سبيل إلى معرفة أحد من أولئك الشّيوخ الّذين بثوا فيه مبادئ العلوم المذكورة.

وبعد أن أحرز الكندي قسطاً من هذه العلوم، قصد بغداد عاصمة الخلافة العبّاسية، وما من شك في أنّ بغداد كانت يومذاك مناراً للعلم ومباءة للعلماء: فيها يجدون أمّهات الكتب ونفائس المراجع متوفرة في خزائن مدارسها ومساجدها وقصورها وبيوت جمهرة من علمائها وأعيان رجالها، وفيها يلقون التّشجيع على المعني في شعاب العلم والنّبوغ في كثير من فروع المعرفة.

فلا مراء في أن يأخذ الكندي، بعد انتقاله إلى بغداد، في التّوغل في العلوم العقلية حين أقبل بنفسه على مدارسة ما انتهى إليه من كتب تتمثل فيها خلاصة تلك العلوم، وجدير بالذّكر أنّ هاتيك الكتب قد ترجمت أو لخصت عن أمّهات لغات العلم يومذاك، فيه مستقاة من تآليف يونانية وسريانية وفارسية وهندية، ففي وسعنا القول، إنّ مؤلفي تلك الكتب، هم «أساتذة» الكندي الحقيقيون، وإليهم يرجع أعظم الفضل في كيانه العلمي.

أمّا سنة وفاة الكندي، فقد اختلف الباحثون في تعيينها، فذهبوا في ذلك مذاهب شتى، زعم بعضهم أنّها كانت سنة ٢٤٦هـ وقال غيرهم أنّها سنة ٢٥١هـ وفريق ثالث يرى أنّها كانت ٢٥٢هـ ورابع ٢٥٨هـ وآخر ٢٦٠هـ

ومهما يكن من تضارب الرّأي في تحديد سنة وفاة الكندي، فإنّ ذلك لا يحول دون القول بأنّه كان من أفذاذ المئة الثّالثة للهجرة «القرن التّاسع للميلاد».

هذا، وينبغي أن لا يلتبس أمر الكندي الفيلسوف الّذي عليه مدار هذه الرّسالة، بغيره من المؤلفين الّذين اشتهروا بنسبتهم أيضاً إلى كندة، وممن عرف بالكندي:

١- أبو عمر محمّد بن يوسف بن يعقوب الكندي، المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ مؤرخ، من مؤلفاته كتاب الولاة وكتاب القضاة، وقد طبعا.

٢- عبد المسيح بن إسحاق الكندي، من أهل القرن الثّالث للهجرة، له «رسالة إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي»، طبعت.

٣- علمه:

اجتمع في الكندي مزايا جعلت منه عالم عصره، فقد كان إلى ذكائه وثاقب بصره، عظيم الأكباب على المطالعة، دؤوباً على اكتساب العلم.

ما أن ألم الكندي بعلوم اللغة والأدب، وشدا من علوم الدّين شيئاً، حتّى اتصل بعلم الكلام وشارك المتكلمين في مباحثهم، ولم يقف عند هذا الحد، بل أنّه اقتحم غمار الفلسفة وما إليها من علوم قديمة منقولة عن تراث اليونان والفرس والهنود، تلك العلوم الّتي كان يطلق عليها حينذاك «العلوم الدّخيلة»، ولقد دفعه تطلبه هاتيك العلوم، وتطلعه إلى أن يستقيها من مناهلها، إلى أن يتعلم اللغة اليونانية، ولا يبعد أن يكون قد نقل إلى العربية ألواناً من ذخائرها النّفيسة، بل لقد عمد إلى ما نقله غيره من المترجمين القدامى، فأجال فيه قلمه وتناوله بالإصلاح والتّعديل، فهو جدير بأن ينعت بالمنقح للفلسفة اليونانية، بل إنّ من يتتبع آثار الكندي، يدرك أنّه إلى تمكنه من اللغة اليونانية، كان عارفاً باللغة السّريانية، فكان ينقل منها أيضاً إلى العربية.

قال ابن أبي أصيبعة «المتوفى سنة ٦٦٨هـ»، نقلاً عن أبي معشر في كتاب، «المذكرات» لشاذان: «حذاق التّرجمة في

(١) دائرة المعارف الإسلامية «مادة الكندي» بقلم دي بور، وفيلسوف العرب والمعلم الثّاني، لمصطفى عبد الرّازق، ص ١٨.

الإسلام، أربعة: حنين بن إسحق، ويعقوب بن إسحق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطّبري»[١].

ولقد أوجز ابن النّديم في صفة الكندي، ولكنه أفاد، حين قال: «فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها»[٢]، وأعظم بها من شهادة عظيمة تصدر عن عالم جليل ثبت كابن النّديم.

ونوه القفطي به في أثناء ترجمته، فقال: «المشتهر في الملة الإسلامية بالتّبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، متخصص بأحكام النّجوم وأحكام سائر العلوم»[٣].

وذكر صاعد الأندلسي، أنّه «لم يكن في الإسلام، من اشتهر عند النّاس بعلوم الفلسفة حتّى سموه فيلسوفاً، غير يعقوب»[٤].

ولقد أجاد سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل «من أهل القرن الرّابع للهجرة»، في التّعريف بالكندي وما كان عليه من سعة في العلم، بقوله: «إنّ يعقوب بن إسحق الكندي: شريف الأصل، بصري، كان جده ولي الولايات لبني هاشم، وترك البصرة وضيعته هنالك، وانتقل إلى بغداد، وهنالك تأدب، وكان عالماً بالطّب، والفلسفة، وعلم الحساب، والمنطق، وتأليف اللحون، والهندسة، وطبائع الأعداد، والهيئة، وعلم النّجوم، ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطاطاليس، وله تواليف كثيرة في فنون من العلم، وخدم الملوك مباشرة بالأدب، وترجم من كتب الفلسفة الكثير، وأوضح منها المشكل، ولخص المستصعب، وبسط العويص»[٥].

ويبدو في علم الكندي ذلك التّفاعل العجيب بين الثّقافات القديمة حين تتقارب وتتمازج، لا سيّما الثّقافة اليونانية الّتي نقل بعض تراثها إلى اللغة العربية في عصر التّرجمة الذّهبي الّذي امتاز به صدر الدّولة العبّاسية في أيّام المنصور والمهدي والرّشيد، ولا سيّما في أيّام المأمون.

ذكر ابن نباتة المصري «المتوفى سنة ٧٦٨هـ»، في سياق ترجمة الكندي، ما هذا بعضه: انتقل يعقوب إلى بغداد[٦]، واشتغل بعلم الأدب، ثمّ بعلوم الفلسفة جميعها، فأتقنها، وحل مشكلات كتب الأوائل وحذا حذو أرسطاطاليس، وصنف الكتب الجليلة الجمّة، وكثرت فوائده وتلامذته، وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جداً[٧].

وأشاد أبو الرّيحان البيروني «المتوفى سنة ٤٤٠هـ»، بعلم الكندي في الجواهر والأحجار، قال في ما وقف عليه من مؤلفات في هذا الباب: «ولم يقع إلي من هذا الفن، غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الجواهر والأشباه، قد افترع فيه عذرته وظهر ذروته، كاختراعه البدائع في كلّ ما وصلت إليه يده من سائر الفنون، فهو إمام المحدثين وأسوة الباقين»[٨].

ولم يكتف البيروني بهذا الثّناء على الكندي، بل صرح - وهو من هو - إنّه قد تابع الكندي في أكثر تحرياته العلمية في هذا الموضوع[٩].

٤- مؤلفاته:

ما من شك في أنّ الكندي، كان من المؤلفين المكثرين، فلقد ألف كتباً ورسائل جمة، أحصاها من عني بترجمته من الأقدمين، فإذا هي في جملتها تربى على مائتين وأربعين كتاباً ورسالة، وهذا شيء كثير بالقياس إلى ذلك العصر الّذي كان يحيا فيه، نعم إنّ جملة من تلك المؤلفات لا تعدو أن تكون، في عرف كُتّاب عصرنا «مقالة» تنشر في مجلة من المجلات السّائرة، ومن ثمة نجد بعض تآليفه «رسائل» لا يمتد النّفس في مدى الواحدة منها إلى أكثر من ورقتين أو ثلاث.

تناول الكندي في مؤلفاته، أفانين شتى من العلم والفلسفة، وقد سرد أسماء هذه المؤلفات واحداً واحداً، جماعة من المصنفين الأقدمين كابن النّديم والقفطي وابن أبي أصيبعة، وتابعهم بعض المؤلفين المحدثين[١٠] في هذا الشّأن، ولكنهم اختلفوا جميعاً فيما بينهم بالزّيادة والنّقص، كما اختلفوا في إيراد عناوين بعضها.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة «طبعة بيروت»، ٢/ ١٧٩.

(٢) الفهرست ٢٥٥.

(٣) أخبار الحكماء ٣٦٦- ٣٦٧.

(٤) طبقات الأمم ٥٢.

(٥) عيون الأنباء ٢: ١٧٩، وانظر طبقات الأطباء والحكماء: لابن جلجل «تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة ١٩٥٥، ص ٧٣- ٧٤».

(٦) فلقد كان قبل ذلك في الكوفة، إذ أنّ أباه كان، على ما ذكرنا سابقاً، من ولاة الأعمال بالكوفة وغيرها في أيّام المهدي والرّشيد.

(٧) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون: لابن نباتة «بولاق ١٢٧٨هـ ص١٢٣».

(٨) الجماهر في معرفة الجواهر: للبيروني «حيد أباد ١٣٥٥هـ ص٣١- ٣٢».

(٩) الجماهر، ص٣٢.

(١٠) من هؤلاء: جميل العظم، في «عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر» «بيروت ١٣٢٦هـ ص١٠٠- ١٠٨»، وإسماعيل باشا البغدادي، في «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» «٢ [استانبول ١٩٥٥] ص٥٣٧- ٤٥٥»، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان. Brockelmann، Geschichte der Arabischen Litteratur. « I ٢٠٩- ٢١٠; SI ٣٧٢- ٣٧٤».

ومما تحسن الإشارة إليه، أنّ ابن النّديم، سيّد المفهرسين القدماء، حاول أن يبوب مؤلفات الكندي بحسب موضوعاتها، فجعل تلك الموضوعات سبعة عشر صنفاً، وفي ما يأتي ثبت بهاتيك الصّنوف وبعدد الكتب الّتي ألفها في كلّ منها:

التسلسل	الصّنف	عدد الكتب
١	كتبه الفلسفية	٢٢
٢	كتبه المنطقية	٩
٣	كتبه الحسابيات	١١
٤	كتبه الكُريّات	٨
٥	كتبه الموسيقيات	٧[١]
٦	كتبه النّجوميات	١٩
٧	كتبه الهندسيات	٢٣
٨	كتبه الفلكيات	١٦
٩	كتبه الطّبيات	٢٢
١٠	كتبه الإحكاميات[٢]	١٠
١١	كتبه الجدليات	١٧
١٢	كتبه النّفسيات	٥
١٣	كتبه السّياسيات	١٢
١٤	كتبه الأحداثيات[٣]	١٤
١٥	كتبه الأبعاديات[٤]	٨
١٦	كتبه التّقدميات[٥]	٥
١٧	كتبه الأنواعيات[٦]	٣٣
المجموع		٢٤١

(١) يؤخذ من مراجع أخرى، إنّ عددها تسعة كتب.

(٢) أي أحكام علم التّنجيم.

(٣) يدخل في ذلك مؤلفات شتى تتناول أحداث الجو، والبرد، والضّباب، وكوكب الذّوابة «المذنب»، واختلاف الأزمنة، والعلة الّتي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما يقرب من الأرض.

(٤) يدخل في ذلك: أبعاد مسافات الأقاليم، والمساكن، والرّبع المسكون، واستخراج بعد مركز القمر عن الأرض، ومعرفة أبعاد قلل الجبال، وآلة يستخرج بها أبعاد الأجرام، وآلة يعرف بها بعد المعاينات.

(٥) في تقدمة المعرفة.

(٦) يدخل في هذا الباب موضوعات شتى: كالجواهر وأنواع الحجارة، وتلويح الزّجاج، والأصباغ، والسّيوف، والعطور، والأطعمة، والحيل، والمد والجزر، والمرايا المحرقة، والنّحل، والحشرات، وعلة الرّعد والبرق والثّلج والبرد والصّواعق والمطر.

٥- ما طبع من مؤلفاته:

إنّ كثيراً من مؤلفات الكندي قد ضاع، فأصبحنا لا نعلم من أمره غير تلك العناوين الّتي سردها بعض المؤلفين المتقدمين على ما أسلفنا.

أمّا ما سلم منها، فجانب منها قد طبع، وجانب آخر ما زال مطموراً بين مجاميع المخطوطات العربية، فهو بعيد كلّ البعد عن أن تتناوله أيدي جمهرة القراء، ينتظر من يتولى تحقيقه ونشره في يوم من الأيّام.

ولسنا في مقام ذكر أسماء جميع تلك المؤلفات الّتي صنفها الكندي، فإنّ المؤلفين القدماء والمحدثين الّذين ألمحنا إليهم قبل قليل، قد وفوا الموضوع حقه، فليرجع إلى مؤلفاتهم من يرغب في الوقوف على عناوينها.

وإنّما نجتزئ في هذا الفصل، بذكر أسماء ما طبع من مؤلفات الكندي، ليكون في وسع الباحث، إذا شاء، أن يرجع إليها بعد أن يسرتها له الطّباعة.

وقبل أن نورد أسماء ما طبع من «نصوص» تلك المؤلفات، نود أن ننوه بأمر ذي بال: ذلك أنّ جماعة من علماء الغرب الأقدمين، أو قل طلائع المستشرقين في العصور الوسطى، قد عرفوا مؤلفات الكندي منذ مئات السّنين، وتدارسوها، وأقبلوا إلى نقلها إلى اللغة اللاتينية، و«اللاتينية» يومذاك لغة العلم السّائدة في أوروبا.

عرف الكندي في مؤلفاته المترجمة إلى اللاتينية، باسم Alkindus ومن أقدم المستشرقين الّذين اشتهروا بنقل مؤلفات الكندي إلى اللاتينية: جيرارد دي كريمونا Gerard di Cremona «١١١٤- ١١٨٧م»، فقد ترجم طائفة كبيرة منها، كان لها أثر عميق في ثقافة الشّعوب اللاتينية وتقدمها العلمي.

ولعل من الخير أن نشير في هذا الصّدد، إلى أنّ طائفة من تلك المترجمات، قد فقدت أصولها العربية، فانتهت إلينا عن طريق ترجماتها اللاتينية، ولولا ذلك لأضحت أثراً بعد عين.

ما أن انتشرت «الطّباعة» في أوروبا، حتّى طبعت تلك «التّرجمات» اللاتينية، فإذا بأحد مؤلفات الكندي المنقولة إلى اللاتينية، يطبع في مدينة البندقية سنة ١٥١٧م، وآخر في ستراسبورغ سنة ١٥٣١م.

ثمّ تكرر طبعها في العصر الحديث.

ولم يكن جيرارد دي كريمونا، أوحد المعنيين بترجمة مؤلفات الكندي إلى اللاتينية، بل قد عرف غيره أيضاً، ومنهم أرنلدس فيلانوفانس Arnaldus Villanovanus «من أهل القرن الثّالث عشر للميلاد»، ومما نقله كتاب في معرفة قوى الأدوية المركبة للكندي.

ولقد نشرت للكندي كتب كثيرة في ترجماتها اللاتينية المنحدرة إلينا من العصور الوسطى، ومعها تعليقات من عمل المستشرق ألبينو ناجي Albino Nagy، في منستر سنة ١٨٩٧م.

وهنالك كتاب للكندي في الهندسة، من ترجمة جيرارد دي كريمونا، نشره وشرحه Bjornbo و Vogel في ليبسك سنة ١٩١٢.

ونشر فيدمان Eilhard Wiedman رسالة الكندي في المد والجزر سنة ١٩٢٢[١].

وليس هنالك شك، في أنّ المنهج الفلسفي للكندي، لا يأتي فهمه على جليته، دون أن تنتشر آثاره المترجمة إلى اللاتينية مع نقلها إلى العربية، إن كان أصلها العربي قد ضاع، فيتصدى ذوو الاختصاص لبيان قيمتها.

فإذا عدنا إلى «النّصوص العربية» لمؤلفات الكندي، ألفينا جماعة من العلماء والباحثين والمحققين المعاصرين، قد عنوا بها فتناولوها بالدّرس والتّحقيق والتّمحيص، ونشروها بنصوصها، ونقلوا بعضها إلى لغات أجنبية.

ولعل أعظم من تحفى لمؤلفات الكندي فأبرزها إلى عالم النّشر، الأستاذ المحقق المدقق، محمّد عبد الهادي أبو ريدة، فقد نشر خمساً وعشرين رسالة من مصنفات الكندي، سلكها في مجموعة نفيسة موسومة بـ «رسائل الكندي الفلسفية»، ظهرت مطبوعة في مجلدين، تولت نشرهما دار الفكر العربي في القاهرة.

الأوّل: طبع بمطبعة الاعتماد، سنة ١٩٥٠، ٣٨٤ص.

الثّاني: طبع بمطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، سنة ١٩٥٣، ١٥٣ص.

وحري بالذّكر، إنّ النّاشر الفاضل قد صدر المجموعة، بدراسة ثمينة وافية عن الكندي وآرائه الفلسفية، كما قدم لكلّ رسالة منها بمقدمة تحليلية حسنة ضافية، أمّا تحقيقه لنصوص الرّسائل ذاتها، فقد أوفى فيه على الغاية.

يحتوي المجلد الأوّل من هذه المجموعة، على الكتب والرّسائل الآتية:

١- كتاب الكندي في الفلسفة الأولى: كتبه للخليفة المعتصم بالله العبّاسي، وقد تولى الخلافة بين عام ٢١٨و ٢٢٧هـ «٨٣٣-٨٤٢م»، «رسائل الكندي الفلسفية، ص٨١- ١٦٢».

٢- رسالة الكندي في حدود الأشياء ورسومها[٢] «ص١٦٣- ١٧٩».

٣- رسالة الكندي في الفاعل الحق الأوّل التّام والفاعل النّاقص الّذي هو بالمجاز، «ص١٨٠- ١٨٤».

٤- رسالة الكندي في إيضاح تناهي حرم العالم[٣]: كتبها إلى أحمد بن محمّد الخراساني، «ص١٨٥- ١٩٢».

٥- رسالة الكندي في مائية[٤] ما لا يمكن أن يكون لا نهاية له وما الّذي يقال: «لا نهاية له»[٥]، «ص١٩٣- ١٩٨».

٦- رسالة الكندي في وحدانية الله وتناهي حرم العالم[٦]: كتبها إلى علي بن الجهم، الشّاعر المشهور، المتوفى سنة ٢٤٩هـ «ص١٩٩- ٢٠٧».

٧- رسالة الكندي في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد، «ص٢٠٨- ٢٣٧».

٨- رسالة الكندي في الإبانة عن سجود الحرم الأقصى وطاعته لله عزّ وجل: كتبها إلى أحمد بن المعتصم، «ص٢٣٨- ٢٦١».

٩- رسالة الكندي في أنّه توجد جواهر لا أجسام، «ص٢٦٢- ٢٦٩».

١٠- رسالة الكندي في القول في النّفس المختصر من كتاب أرسطو وفلاطن [أفلاطون] وسائر الفلاسفة، «ص٢٧٠- ٢٨٠».

١١- كلام للكندي في النّفس: مختصر وجيز، «ص٢٨١- ٢٨٢».

١٢- رسالة للكندي في ماهية النّوم والرّؤيا، «ص٢٨٣- ٣١١».

١٣- رسالة للكندي في العقل، «ص٣١٢- ٣٥٨».

١٤- رسالة الكندي في كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة، «٣٥٩- ٣٨٤».

أمّا المجلد الثّاني من هذه المجموعة، فيحتوي على الكتب والرّسائل الآتية:

١٥- رسالة الكندي في الجواهر الخمسة، «ص٥- ٣٥».

١٦- رسالة الكندي في الإبانة عن أنّ طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة، «ص٣٦- ٤٦».

---

(١) ألدو ميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، نقله إلى العربية الدّكتور عبد الحليم النّجار والدّكتور محمّد يوسف موسى، «القاهرة ١٩٦٢، ص١٤٩، ١٥٣، ٤٨٢».

(٢) نشرها أوّلاً في مجلة «الأزهر» ١٨ [القاهرة ١٣٦٦هـ] ص١٨٦- ١٩٩.

(٣) نشرها أوّلاً في الأزهر ١٨: ٣٨١- ٣٨٧.

(٤) أي ماهية.

(٥) نشرها أوّلاً في الأزهر ١٨: ٣٨٨- ٣٩٢.

(٦) نشرها أوّلاً في الأزهر ١٨: ٣٩٣- ٤٠٠.

١٧- رسالة الكندي إلى أحمد بن المعتصم في أنّ العناصر والحرم الأقصى كرية الشّكل، «ص٤٧- ٥٣».

١٨- رسالة الكندي في السّبب الّذي له نسبت القدماء الأشكال الخمسة إلى الاسطقسات، «ص٥٤- ٦٣».

١٩- رسالة الكندي في الجرم الحامل بطباعه اللون من العناصر الأربعة والّذي هو علة اللون في غيره، «ص٦٤- ٦٨».

٢٠- رسالة الكندي في العلة الّتي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تُمطَر، «ص٦٩- ٧٥».

٢١- رسالة الكندي في علة كون الضّباب، «ص٧٦- ٧٨».

٢٢- رسالة الكندي في علة الثّلج والبرد والبرق والصّواعق والرّعد والزّمهرير، «ص٧٩- ٨٥».

٢٣- رسالة الكندي في العلة الّتي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض، «ص٨٦- ١٠٠».

٢٤- رسالة الكندي في علة اللون اللازوردي الّذي يرى في الجو في جهة السّماء ويظن أنّه لون السّماء، «ص١٠١- ١٠٨».

٢٥- رسالة الكندي في العلة الفاعلة للمد والجزر: كتبها إلى بعض إخوانه، «ص١٠٩- ١٣٣».

ومما يحس التّنويه به، إنّ الأستاذ الدّكتور أحمد فؤاد الأهواني، كان سباقاً إلى تحقيق «كتاب الكندي في الفلسفة الأولى»، المشار إليه في الرّقم «١» من «رسائل الكندي الفلسفية»، فقد نشره في كتاب لطيف، تتقدمه ترجمة تحليلية وافية بالمرام عن الكندي، «دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٤٨، ١٤٨ص».

كما نشر رسالة الكندي في «القول في النّفس»، المشار إليها في الرّقم «١٠» من «رسائل الكندي الفلسفية»، «انظر: مجلة «الكتاب» ٦ [دار المعارف- القاهرة ١٩٤٨] ص٣٩٩- ٤٠٥».

كما إنّ المستشرقين م. جويدي، ر. ولزر، سبق لهما أن حققا «رسالة الكندي في كمية كتب أرسطاطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة» المشار إليها في الرّقم «١٤» من «رسائل الكندي الفلسفية»، ونشرا نصها العربي مع ترجمة وتعليق باللغة الإيطالية[١].

ونشر الأب يوحنا قمير[٢]، أربعاً من رسائل الكندي، وهي الّتي ترى في «مجموعة رسائل الكندي» تحت الأرقام «٢» و«٦» و«١٠» و«١٣».

(١) Kindi I. Uno scritto -Studi su AL :«R» e Walzer «M» Guidi Memorie della Classe » ,introduttivo allo studio di Aristotele ,Storiche e Filologiche. Anno cccxxxvi ,di Scienze Morali ,Serie VI ,Vol. VI ,Fasc .V ,Roma١٩٤٠; pp. ٣٧٥- ٤١٩».

(٢) فلاسفة العرب: الحلقة «٨»: الكندي، «المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٩٥٤، ص٣١- ٦٧».

والرّسالة رقم «١٠»، أعني بها «القول في النّفس.. الخ»، نشرها ولزر[٣].

أمّا ما طبع من مؤلفات الكندي الأخرى، فهي:

٢٦- رسالة الكندي في السّيوف وأجناسها: حققها ونشرها الأستاذ الدّكتور عبد الرّحمن زكي «القاهرة ١٩٥٢، ٣٦ص»، وهي مستلة من «مجلة كلية الآداب» بالقاهرة، المجلد ١٤ الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢.

٢٧- رسالة يعقوب بن إسحق الكندي في الحيلة لدفع الأحزان: حققها ونشرها المستشرقان هـ رتر، ور. ولزر، مع ترجمة وتعليق باللغة الإيطالية[٤].

٢٨- رسالة في ملك العرب وكميته: نشرهما المستشرق أوتولث في كتاب:

Oriental Researches. « Leipzig١٨٥٧؛ pp. ٢٦١- ٣٠٩».

وانظر في ذلك: يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة «الحقل ١٥٧٣»، وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٢ [تحقيق الدّكتور شوقي ضيف] ص٢٥٠.

٢٩- رسالة في التّنجيم، طبعت، ذكر ذلك الأستاذ خير الدّين الزّركلي[٥].

٣٠- خمس رسائل: أولاها في «ماهية العقل» للكندي، طبعت فيما ذكر الزّركلي[٦].

٣١- كيمياء العطر والتّصعيدات: نشره المستشرق كارل كَرابرر «ليبسك ١٩٤٨» النّص العربي في ٥٩ص، ويليه ترجمة وتعليق بالألمانية[٧].

٣٢- كتاب الحروف: نشره جويدي سنة ١٩٣٧، في مجموعة، Stud. Ital. di fil. Class. NS. XIV.

٣٣- رسالة الكندي في عمل السّاعات: نشرها الأستاذ زكريا يوسف، بالزّنكغراف «مطبعة شفيق- بغداد ١٩٦٢، ٦ص».

(٣) stud. » .R. Walzer: Un frammento nuovo di Aristotele Ital. di Fil. Class. NS XIV ,١٩٣٧; pp. ١٢٥- ١٣٧».

(٤) Kindi II: Uno Scritto -H. Ritter c R. Walzer: Studi su AL Memorie della Classe di » .Kindi -alc inedito di ALmor Vol VIII. ,Storiche e Filologiche. Ser. VI ,Scienze Morali ;١٩٣٨Roma pp. ٥- ٦٣».

(٥) الأعلام: لخير الدّين الزّركلي، «الطّبعة الثّانية، القاهرة ١٩٥٧» ٩: ٢٥٦.

(٦) الأعلام ٩: ٢٥٦.

(٧) tasidat: Buch uber die Chemie -wat Itr -Kitab Kimya al des Parfums und die Destillationen. Von Yaqub B. Ishaq .Kindi. Ubersetzt. Von kar Grabers -AL ١٩٤٨Leipzig » .

ولقد سبقت الإشارة إلى أنّ من جملة الأصناف العلمية الّتي عنى الكندي بالتّأليف فيها، هي الموسيقى وتأليف الألحان، وقد بلغ ما صنفه في هذا الباب تسعة كتب، تولى بعض الباحثين في شؤون الموسيقى العربية، نشر جانب منها، وفي ما يأتي، أسماء كتبه الموسيقيات الّتي طبعت:

٣٤- رسالة في خبر تأليف الألحان: نشرها المستشرق روبرت لاخمان «R. Lachmann» والدّكتور محمود أحمد الحنفي، مع ترجمة ألمانية «ليبسك ١٩٣١»، وهي أوّل ما نشر من مؤلفات الكندي في الموسيقى.

٣٥- رسالة الكندي في أجزاء خبرية في الموسيقى: حققها وشرحها وعلق عليها الأستاذ الدّكتور محمود أحمد الحنفي «مطبعة الأمين للطبع والنّشر- القاهرة ١٩٦٢؟، ٥٧ص».

وقد اهتم الأستاذ زكريا يوسف بموسيقى الكندي، فنشر في بغداد «مطبعة شفيق ١٩٦٢، ١٤٣ص»، ما يعرف من تآليف الكندي في الموسيقى، وهي الموجودة في ثلاث من كبريات خزائن الكتب الأوروبية، أعني بها: المتحف البريطاني، اكسفرد، برلين، وقد ظهرت في مجموع ينطوي فضلاً عن إعادة نشر الرّسالتين المذكورتين أعلاه «الرّقم ٣٣و ٣٤»، على المؤلفات الثّلاثة الآتية أيضاً:

٣٦- كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة أوتار، حقق عن مخطط فريد عثر عليه النّاشر سنة ١٩٥٥ في خزانة كتب بدليان بجامعة اكسفرد.

٣٧- مختصر الموسيقى في تأليف النّغم وصنعة العود: ألفه لأحمد بن المعتصم نشره عن نسخة برلين.

٣٨- الرّسالة الكبرى في التّأليف، أو الكتاب الأعظم في التّأليف.

ومن هذه الرّسالة الأخيرة، اقتبس الأستاذ زكريا يوسف، تمريناً للضرب على العود، وطبعه بالزّنكغراف، وجسد اللحن منه بالعلامات الموسيقية الحديثة «النّوطة»، وجعل ذلك بعنوان: «أقدم وثيقة موسيقية للحن مدون عند العرب من القرن الثّالث للهجرة: تمرين للضرب على العود تأليف الفيلسوف العربي العراقي أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي» «بغداد ١٩٦٢، ٤ص».

هذا جل ما تيسر لنا الوقوف عليه، مما طبع من مؤلفات الكندي، ولسنا ندعي أننا قد استوعبنا في هذه العجالة كلّ شاردة وواردة في هذا الباب، فقد يكون قد شذ عنا رسائل أخرى نشرت في ديار الغرب مما لا سبيل إلى الإحاطة به.

٦- خزانة كتب الكندي:

أحرز الكندي خزانة حافلة بالكتب الباحثة في مختلف فروع العلم الّتي تخصص بها، ولسنا نجانب الصّواب إذا ما قلنا أنّ تلك الخزانة كانت تضم كلّ جليل مما كان معروفاً في زمنه من أُمّهات المراجع الباحثة في الفلسفة والرّياضيات والطّبيعيات والفلك والموسيقى والطّب وغير ذلك من الموضوعات الّتي انصرف إلى الاشتغال بها والتّأليف فيها، وقد ساق لنا أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الدّاية «المتوفى سنة ٣٤٠هـ- ٩٥١م»، شيئاً من أخبارها، قال: «حدّثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب، قال: كان محمّد وأحمد ابنا موسى بن شاكر[١]، في أيّام المتوكل[٢]، يكيدان كلّ من ذكر بالتّقدم في معرفة، فأشخصا سند بن علي «المنجم» إلى مدينة السّلام وباعداه عن المتوكل، ودبرا على الكندي حتّى ضربه المتوكل، ووجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها، وأفرداها في خزانة سميت بالكندية»[٣].

ومن عجيب الأمور، أن يبلغ التّحاسد والتّباغض هذا المبلغ بين رجال انقطعوا للعلم، وأقل ما يقال فيهم أن يكون العلم قد هذب أخلاقهم وصقل طباعهم ونفى عنهم مثل هذا الإسفاف، ذلك أنّ بني موسى بن شاكر، كانوا من أعلام العلماء في عصرهم، قال فيهم ابن النّديم: «هؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرّغائب، وأتعبوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلاد الرّوم من أخرجها إليهم، فأحضروا النّقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السّني، فأظهروا عجائب الحكمة»[٤].

فلا مراء أن يكون بنو شاكر قد حصلوا من الكتب على أنفسها وأعزها وجوداً، واهتمامهم بأخذ خزانة الكندي دليل على عظم شأنها في نظرهم[٥].

ثمّ إنّ الحال تغيرت وانقلب الأمر إلى عكس ما ذكرنا بشان بني شاكر، فإنّ المتوكل ما لبث أن غضب على محمّد وأحمد ابني موسى بن شاكر، ورضى عن سند بن علي في حادثة طريفة، فكان هذا التّغير سبباً في استرداد كتب الكندي وإعادة خزانته برمتها إليها.

وتفصيل الحادث، إنّ ابني موسى بن شاكر، بعد أن استحوذا على المكتبة «تقدّم المتوكل إليهما في حفر النّهر المعروف بالجعفري[٦]، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير

---

(١) اشتهرا مع أخيهما الحسن، في علم الهندسة والحيل «الميكانيك» والفلك، وكان أبوهم، موسى بن شاكر، من منجمي المأمون.

(٢) كان المتوكل أحد الخلفاء العبّاسيين الّذين اتخذوا سامراء عاصمة لهم بدلاً من بغداد، وكان له في سامراء مآثر عمرانية عظيمة، قتل سنة ٢٤٧هـ

(٣) كتاب المكافأة وحسن العقبى: لابن الدّاية «تحقيق محمود محمّد شاكر، القاهرة ١٩٤٠، ص١٣٠»، وعنه نقل الخبر ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء «٢: ١٨٠».

(٤) الفهرست ٢٧١ وأخبار الحكماء للقفطي ٣١٥- ٣١٦.

(٥) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق «بغداد ١٩٤٨، ص٢١٠- ٢١١»، وفيلسوف العرب والمعلم الثّاني، ص٣٢- ٣٣.

(٦) من أنهار سامراء القديمة، نسب إلى الخليفة «جعفر» المتوكل.

الفرغاني الّذي عمل المقياس الجديد بمصر، وكانت معرفته أوفى من توفيقه، لأنّه ما تم له عمل قط فغلط في فوهة النّهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائره، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النّهر، فدافع محمّد وأحمد ابنا موسى في أمره، واقتضاهما المتوكل، فسعى بهما إليه فيه، فأنفذ مستحثاً في إحضار سند بن علي من مدينة السّلام، فوافى فلما تحقق محمّد وأحمد ابنا موسى أنّ سند بن علي قد شخص، أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة، فدعا المتوكل بسند، وقال له: ما ترك هذان الرّديان شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به، وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النّهر، فأخرج إليه حتّى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه، فأنّى قد آليت على نفسي، إنّ كان الأمر على ما وصف لي، إنّ أصلبهما على شاطئه، وكلّ هذا بعين محمّد وأحمد ابني موسى وسمعهما.

فخرج وهما معه، فقال محمّد بن موسى لسند: يا أبا الطّيب: إنّ قدرة الحر تذهب حفيظته، وقد فزعنا إليك في أنفسنا الّتي هي أنفس أعلاقنا، وما ننكر أنّا أسأنا، والاعتراف يهدم الاقتراف، فتخلصنا كيف شئت، قال لهما: والله، إنّكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة، ولكن الحق أولى ما اتبع، أفكان من الجميل ما أتيتماه إليه من أخذ كتبه؟ والله! لا ذكرتكما بصالحة «أمام المتوكل» حتّى تردا عليه كتبه، فتقدّم محمّد بن موسى في حمل الكتب إليه، وأخذ خطه باستيفائها، فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها، فقال: قد وجب لكما علي ذمام برد كتب هذا الرّجل، ولكما ذمام بالمعرفة الّتي لم ترعياها فيّ، والخطأ في هذا النّهر يستتر أربعة أشهر بزيادة دجلة، وقد أجمع الحساب على أنّ أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى، وأنا أخبره السّاعة أنّه لم يقع منكما خطأ في هذا النّهر إبقاء على أرواحكما، فإن صدق المنجمون، أفلتنا الثّلاثة، وإن كذبوا وجازت مدته حتّى تنقص دجلة وتنضب، أوقع بنا ثلاثتنا.

فشكر محمّد وأحمد هذا القول منه واسترقهما به، ودخل على المتوكل، فقال له: ما غلطا، وزادت دجلة، وجرى الماء في النّهر، فاستتر حاله، وقتل المتوكل بعد شهرين، وسلم محمّد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعا»[1].

ولا ريب في أنّ عوادي الزّمن، قد فعلت الأفاعيل، بعد ذلك، في تشتيت كتب هذه الخزانة وإضاعة ما كانت تحتويه من كنوز خطية، فلم تبق لنا منها سوى هذه الأخبار الطّفيفة الّتي أجملناها في هذه النّبذة.

٧- كلمة الختام:

إنّ الكندي العالم المتبحر الّذي له من التّصانيف ما يدخل في فنون شتى من المعرفة، لحري بأن يخص بدراسات تحليلية واسعة النّطاق، تتناول آراءه، وما كان لها من أثر في كلّ منحى من مناحي العلم، ولا يتم ذلك إلا بأن تتضافر جهود العلماء، على اختلاف اختصاصاتهم، للتوفر على دراسة حياة الكندي من وجوهها المختلفة: الكندي الفيلسوف، الموسيقى، الفلكي، الرّياضي، الطّبيعي، الكيماوي، المهندس، الطّبيب، ألخ...

ولقد سبقت الإشارة، إلى أنّ جانباً كبيراً من مؤلفات الكندي أخذته يد الضّياع، ومن ثمة، أنّ بعض الجوانب الفكرية من حياة الكندي قد تتعذر الكتابة فيها بالدّقة العلمية المطلوبة.

ونود أن نختتم كلامنا، بما قاله كردانو، أحد فلاسفة النّهضة الأوروبية في القرن السّادس عشر للميلاد، إنّ الكندي كان واحداً من الاثني عشر عبقرياً الّذين ظهروا في العالم، وإنّه كان في القرون الوسطى واحداً من ثمانية هم أئمّة العلوم الفلكية[2].

(١) المكافأة وحسن العقبى ١٣١، وعيون الأنباء ٢: ١٨٠- ١٨١، وخزائن الكتب القديمة في العراق ١٩٨- ١٩٩.

(٢) قدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرّياضيات والفلك «الطّبعة الثّانية، القاهرة ١٩٥٤، ص١٣٧و ١٤٣».